في إحدى غرف سجن غزة المركزية يلتف خمسة عشرة سجيناً حول التلفاز ويشاهدون نشرة الأخبار المسائية وهي تتحدث عن الأحداث والمواجهات وسقوط عشرات الشهداء ومئات الجرحى.

في هذا اليوم ستعرض نقاط الاحتكاك، وما كان عليها من مواجهات وصدامات وشهداء وجرحى عند بوابة صلاح الدين في مدينة رفح، ومواجهات وصدامات وشهداء وجرحى عند حاجز التفاح غربي مدينة خان يونس، وكذلك الحال عند مستوطنة (كفار داروم) قرب بلدة دير البلح. والوضع أصعب بعشرات المرات عند مفرق الشهداء بالقرب من مستوطنة(نتساريم) شهداء وجرحى عند معبر ايرز الحدودي وشرقي الشجاعية، وصورة شبيهة في نقاط الاحتكاك في الضفة الغربية، كمدينة القدس وحولها في أطراف مدينة رام الله وعند قبر يوسف في نابلس وحول جنين ومخيمها.

صمت مطبق يسود الغرفة أثناء نشرة الأخبار، وما إن انتهت حتى بدأت التعبيرات عن الغضب تصدر عن أولئك الشبان في تلك الغرفة، وغيرها من غرف السجن، هذا يصرخ مكبراً: الله أكبر ماذا يحدث يا ناس؟ والثاني يضرب السرير بقدمه صارخاً: إلى متى يظل هذا الحال؟ والثالث يضع رأسه بين يديه يعصرها دون أن ينبس ببنت شفة، والرابع يضرب رأسه بكف يده ، وهكذا من التعبيرات الغاضبة أو غير الرزينة.

إبراهيم يجلس على حافة السرير وقدماه تتدليان على الأرض، وقد أسند ذراعيه على ركبتيه وأسند رأسه على كفيه، والتزم الصمت، أحد الشبان توجه إليه بالقول: ما رأيك يا إبراهيم؟ نظر إليه إبراهيم قائلاً: هذا هو حالنا، أرواح ودماء أبناء شعبنا صارت حقلاً لتجارب أوسلو، فإن تنجح بها ونعمت، وإن لم تنجح فما المانع أن نبدأ من الصفر، هذا هو الحل، كل تضحيات الانتفاضة الأولى ذهبت هدراً، والآن وصلت الأمور مع السياسيين والمفاوضين، إلى طرق مسدودة، فما المانع من أن تبدأ التجربة من جديد!!

مئات بل آلاف الشهداء سيسقطون، وعشرات آلاف الجرحى، وستجد من يأتي ليطرح مرة أخرى الذهاب إلى أوسلو جديد، أو سمه ما شئت أن تسميه، وهكذا بعد كل جولة من جهاد وكفاح شعبنا يأتي السياسيون ليقطفوا الثمرة؛ لأنهم يسارعون في قطاف الثمرة قبل أوانها فإنهم يعاقبون بحرمانها، فلا الثمرة تبقى على الشجرة حتى تثمر، ولا ينتفع بها حين قطافها فهي لم تنضج بعد. هكذا كان الحل مع انتفاضة شعبنا الأولى، ولأن علينا أن نبدأ من جديد ليأتينا من يتوهم أن الثمرة قد نضجت وآن أوانها، فيدمر كل ما ضحى شعبنا من أجله.